

المنظومة الوافية بجل مباحث العروض والقافية، نظم أ. علي الهادي شونة تحت دائرة الضوء

د. مبروكة الهاشمي علي البوعيشي

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة طرابلس

(تاريخ النشر: 2025-07-01)

الملخص:

المنظومة الوافية هي نظم شامل يغطي أغلب الجوانب في علم العروض الذي يختص بدراسة أوزان الشعر العربي، وبنياته الموسيقية، ويشمل هذا العلم مجموعة من القواعد التي تحدد الأوزان الشعرية الصحيحة وما يعترضها من تغييرات معترف بها، وعلم القافية الذي يهتم بالجزء الأخير من البيت الشعري الذي يعبر عن تكرار صوتي معين يسهم في إضفاء جمال إيقاعي على الشعر، ولعلم القافية قواعد وقوانين معروفة، والمنظومة الوافية للأستاذ المبدع علي شونة هي إسهام ليبي في تعليم علمي العروض والقافية، وتسهيل ذلك على طلاب العلم.

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في إلقاء الضوء على الإسهام الليبي في المتون العلمية من خلال الدراسة للمنظومة الوافية.

هدف البحث: يسعى هذا البحث إلى:

_ التعريف بعالم ليبي له دور كبير في نشر العلم داخل ليبيا، وله تصنيفات علمية تعليمية مرموقة تستحق الإشادة والنشر.

_ الإبانة عن منظومته (المنظومة الوافية) والتوضيح لخصائصها، وما تميّزت به بين منظومات تخصصها.

منهج البحث: يقتضي هذا البحث أن يتخذ من المنهج الوصفي التحليلي سبيلا لتحقيق هدفه.

الكلمات المفتاحية: العروض، القافية، المنظومة الوافية.

المقدمة:

الحمد لله حمدا يكافئ نعمه ويجازي إحسانه سبحانه، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

المتون العلمية وسائل تعليمية لتسهيل شتى العلوم والفنون لطلاب العلم بمستوياتهم المختلفة، ابتكرها علماءنا القدامى في محاولة جادة للتغلب على الانحدار الذي من الممكن أن يحدث للأمة حين تخلف الناس عن طلب العلم؛ نظرا لما قد يواجهونه من صعوبة في فهم العلوم، وبقيت هذه الوسيلة التعليمية الناجعة مستخدمة حتى وقتنا الحاضر؛ لأنها تختصر قواعد العلوم في كلمات محدودة، وانقسمت هذه

المتون إلى متون منثورة نحو: كتاب قطر الندى وبل الصدى، وشذرات الذهب، ... وغيرهما، ومنظومة نحو: ألفية ابن مالك أشهر المنظومات النحوية، وأكثرها انتشاراً، وتحفة الأطفال والغلمان، وهي مختصة بالتعريف بأحكام تجويد قراءة القرآن الكريم... وغيرهما.

والمتون العلمية المنظومة تحوي صياغة للمعرفة العلمية المتخصصة في نصوص مكثفة مختصرة، يصحبها في قراءتها إيقاع موسيقي نابع من وزنها الذي نظمت عليه، وقافية كل بيت فيها، مما يسهل حفظ العلم، ومذاكرته، واستنباط ما فيه من أحكام وقوانين اجتهد الناظم في بثها داخل منظومته قدر المستطاع، وهي تتميز بخصائص تيسيرية للعلم تجعلها مقدّمة على المتون النثرية، ولذلك اهتمّ بها الشراح والدارسون على حدّ سواء.

وما تزال المنظومات العلمية تجد رواجاً حتى وقتنا الحاضر، فاهتمّ كثير من العلماء الآن أن يدلوا بدلهم فيها، ويصنفوا منظومات بمستوى طلاب هذا العصر؛ لتكون وسيلة مساعدة على تذليل صعاب العلوم أمامهم، ومن الجميل بمكان أن يُفسح المجال لإسهامات علماء ليبيا الأفاضل في هذا الأمر كي تجد طريقها نحو النور، والنشر، والشرح، والإيضاح، والتتويه بمصنفيها الأكارم، وهم حقيقون بذلك. ومن العلماء الليبيين الذين ألفوا متوناً علمية الأستاذ علي شونة الذي صنّف منظومة في مجال علم العروض والقافية، كما أن له تصانيف أخرى منظومة ومنثورة.

ـ التعريف بالناظم:

الأستاذ الجليل، والعلامة المتواضع الخلق علي الهادي مسعود شونة، من مواليد 1951م بمدينة ككلة التي نشأ بها، وقد أكمل تعليمه الابتدائي سنة 1965م في مدارسها، ثم انتقل للدراسة بمدينة غريان حيث أتمّ المرحلة الإعدادية سنة 1968م والثانوية سنة 1971م، لينتقل إلى مدينة بنغازي طلباً للعلم فنال درجة الليسانس في الآداب من قسم اللغة العربية بكلية الآداب ـ جامعة قاريونس سنة 1975م، ثم إلى طرابلس فنال درجة الماجستير من جامعة طرابلس سنة 1984م.

تمّ تعيينه عضو هيئة تدريس بقسم اللغة العربية في كلية التربية طرابلس عام 1985م، على درجة محاضر مساعد، فاضطلع بتدريس علوم النحو والصرف والعروض بكلّيتي التربية واللغات ومركز بحوث العلوم الإنسانية، وإلى جانب التدريس كانت له تصانيف وبحوث منشورة ومخطوطة منها هذه المنظومة موضوع البحث.¹

¹ - ينظر المنهج في العروض والقافية، أ. علي شونة، 409.

التعريف بالنظم:

العنوان:

"المنظومة الوافية بجل مباحث العروض والقافية"، وهي نظم تام كامل يغطي تفاصيل مباحث علمي العروض والقافية التي وردت فيها، وقد عبّر عنوان المنظومة عن استيفاء التفاصيل حين تم وصف المنظومة بالوافية، لأن (وفى) كلمة تدل في معناها على التمام والكمال¹، ثم بين أن هذا التمام في التفاصيل كان لمعظم المباحث لا جميعها حين أكمل العنوان بكلمة (جُل) التي تدل على معظم الشيء لا جميعه²، والمباحث التي لم ترد في المنظومة ما يلي:

_ التعريف بالخليل واضع علم العروض: تبدأ كتب العروض عادة بالتعريف بواضعه وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ) وهو ما لم تهتم به المنظومة، ولكن الناظم لم يغفل عن الإشارة إليه تلميحا في بعض الأبيات حين قال مثلا:

هُوَ نِتَاجُ مَنْهَجِ الدَّوَائِرِ نَهْجِ عَرُوضِيَّ حَبِيرٍ مَاهِرِ

يتحدّث الناظم في هذا البيت عن التفعيلتين: مستفعلن وفاعلاتن اللتين تأتيان بصيغتين، إحداهما _ تكونان فيها محتويتين على وتد مجموع، الأولى مختومة به، والأخرى يتوسط سببها، والصيغة الثانية تكونان فيها محتويتين على وتد مفروق يتوسط الأولى فتصير مستفعلن، ويتصدّر الثانية فهي فاع لاتن به، وهذا التنوع للتفعيلتين استنبطه الخليل من خلال الدوائر العروضية. ويشير الناظم إلى الخليل تصريحاً في أبيات متعددة في منظومته، منها:

أَمَّا الْخَفِيفُ سَبَبُ الْخَلِيلِ فَهُوَ نَظِيرُ مَقْطَعِ طَوِيلِ

وقوله:

وَالْمَقْطَعُ الْقَصِيرُ كَالطَّوِيلِ هُمَا عِمَادُ وَتَدِ الْخَلِيلِ

وكذلك قوله:

الصَّلْمُ وَالْقَصْرُ عَنِ الْخَلِيلِ سُفُوطُ تَائِيِ الْمَقْطَعِ الطَّوِيلِ³

وكذا صرّح بذكره في قوله:

¹ _ ينظر معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (وفى) 6، 129.

² _ ينظر المصدر نفسه، (جل) 1، 417.

³ - المقطع الطويل والتصير هي مصطلحات مأخوذة من علم الأصوات، وأراها ربطاً ذكياً من الناظم إذ يربط العلوم اللغوية بعضها ببعض؛ لإيضاح مصطلحات العروض القديمة، بما يماثلها في علم لغوي آخر كي يصل المعنى إلى ذهن الدارس. ولمزيد الإيضاح للمقاطع الصوتية ينظر الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، 109.

وَالْحَرْمُ أَنْوَاعٌ عَنِ الْخَلِيلِ مَنُوطَةٌ بِالْبَحْرِ وَالْأَفْعُولِ

وغيرها من المواضيع الخاصة بعلم العروض، كما ذكره صراحة حين نظم مباحث القافية فقال:

قَافِيَةُ الْبَيْتِ الْخَلِيلُ رَسَمًا آخِرَ سَاكِنِينَ فِي الْبَيْتِ وَمَا
يَكُونُ مِنْ مُحَرِّكَ بَيْنَهُمَا وَمُطَلَقٍ مُبَاشِرٍ قَبْلَهُمَا

وكذلك صرّح بذكره في البيت الآتي:

وَسَمَّ بِالْإِشْبَاعِ كَالْخَلِيلِ مِنْ بَيْنِهَا حَرَكَةَ الدَّخِيلِ

_ التعريف بعلم العروض، وسبب تسميته، وأسباب وضعه.

_ أهمية علم العروض،¹ وموضوعه، وعلاقته بالعلوم الأخرى.

_ الضرورة الشعرية التي لم يكن لها ذكر حتى في كتابه المنهج.

ومن الملاحظ أن هذه المباحث لها اتصال بعلم العروض، لكنها لا تعدّ من صميم هذا العلم.

أما المباحث التي تعدّ جزءاً أصيلاً منه ولم تتل حظها من الذكر أو التوضيح في المنظومة ما يلي:

_ الرسم العروضي، والأحرف المزيّدة والمحدوفة فيه.

_ الدوائر العروضية التي جاء ذكرها عرضاً في بيت سابق ذكره.²

نسبة المنظومة للناظم، وسبب تأليفها:

ليس هناك من إشكال في نسبة هذه المنظومة للأستاذ علي شونة؛ فقد قام بطباعتها في إحدى الدوريات³، كما استعان بها في توضيح مباحث علمي العروض والقافية بكتابه الموسوم بـ(المنهج في العروض والقافية) الذي استندت إليه في كثير من المواضيع بهذا البحث.

أمّا سبب تأليفها فهو رغبته في تصحيح منظومة في هذا العلم اقتناها الأستاذ حين رحلته العلمية إلى القاهرة سنة 70م، حيث قال: "هذه الرحلة الثقافية المهمة قد فتحت عيني على نفائس الكنوز التراثية النادرة ... والظفر ببعض المصنفات العروضية كأهدى سبيل إلى علمي الخليل ... وميزان الذهب ... إلا أن ميزان الذهب قد خلب لتيّ دون سواه بنظمه ... وقد بهرتني مضامين أبياته، وحجبت عن عيني ... ما

¹ _ لقد كتب الناظم منظومة تعقّب فيها هنات الشعراء غير المتضلعين من علم العروض، وهي من باب إسداء النصح لمن أراد أن ترسخ قدمه في عالم الشعر، وقد نشرها كما نشر معظم أبيات المنظومة الوافية في كتابه المنهج؛ لتعم الفائدة لكل من يتخذ الكتاب وسيلة لدراسة مباحث هذا العلم، ينظر المنهج، مصدر سابق، 36.

² _ هناك منظومات أخرى شاركته في هذا الترك لكل أو أغلب ما ترك الأستاذ ذكره وتوضيحه في منظومته، ينظر منظومة الصبان، مجلة القادسية، 341 _ 346، منظومة الدرة العروضية للشيخ معروف النودهي، 10 _ 107، لذا لا أعدّ ذلك نقصاً، ولكنني أردت توضيح قوله (جل)، التي أظنه ذكرها تجنباً لادعاء الكمال.

³ _ ينظر مجلة اللسان المبين، العدد 8، 2013م، 187 _ 208.

يعج به إطاره الخارجي من ضرورات، لكن هذه الضرائر ... طفقت تطفو ... مفضية إلى زراية ...
وهاجس ملح على التصحيح، سرعان ما وجد إلى النفاذ سبيلاً¹

ـ تحليل النظم.

الترتيب:

برع الأستاذ علي شونة في تنظيم منظومته الوافية، وترتيبها مبتعدا عن التقليد، في محاولة ابتكار وتجديد؛ لغرض الإسهام في تسهيل علم العروض لدارسيه، وقد جاءت حسنة السبك، يؤدي السابق منها إلى اللاحق، مع المغايرة للمنظومات الأخرى في كثير مما كتب، وليس هذه التغيير من باب خالف تُعرف، وإنما هو أسلوبه المبدع الذي يضيفه على مؤلفه، وشخصيته العلمية التي تسعى للتجديد والتيسير في العلوم، وقد رتبها على النحو الآتي:²

ديباجة: وهي مقدمة افتتح بها منظومته، بدأها بذكرٍ مادحٍ لصاحب كتاب ميزان الذهب³ حيث قال:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَلْمَعِيَّ السَّيِّدَا الْهَاشِمِيَّ الْأَبَّ أَعْنِي أَحْمَدَا

فوسمه بالألمعي التي تعني الذكي المتوقد الصادق الفراسة الخفيف الظريف،⁴ قبل أن يذمّ نظمه المليء بالضرورة، وهذا يدل على حسن خلق الأستاذ، حيث لم ينس بعد ذلك أن يشير لفضل صاحب الميزان عليه بقوله:

وَحَسْبُهُ فَخْرَانِ أَنْ تَقَدَّمَ وَأَنْ تَزَوَّدْتُ بِمَا قَدْ نَظَّمَا

ثم دعا له، وختم الديباجة بمدح منظومته الوافية هذه التي رأى أنها فخر أهل العروض والنحو؛ لخلوها من الكسر والضرورة. وصنّيعه هذا يذكر بمقدمة ألفية ابن مالك في النحو التي أشار فيها الإمام إلى ابن معط الذي سبقه في النظم، ثم دعا له، مع مدح لألفيته التي رأى أنها تفوق ألفية ابن معط حيث قال:

وَتَقْتَضِي رِضًا بَعِيرٍ سَخِطٍ فَائِقَةً أَلْفِيَةَ ابْنِ مُعْطِي
وَهُوَ بِسَبْقٍ حَائِزٌ تَفْضِيلًا مُسْتَوْجِبٌ تَنَائِي الْجَمِيلًا

¹ _ المنظومة الوافية، أ. علي شونة، مجلة اللسان المبين، مصدر سابق، 187 _ 188.

² _ فصل الأستاذ بين أجزاء منظومته بعناوين توضح المباحث الذي تتناولها الأبيات.

³ _ كتاب ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، هو كتاب يشتمل على فنون الشعر الخمسة عشر العروض، القوافي، لزوم ما لا يلزم، التصريح، التقويق، التسميط، الإجازة، التشطير، التخسيس، الموشح، الدوبيت، الزجل، المواليا، الكان وكان، القوما، للسيد أحمد ابن مصطفى الهاشمي، معلم وأديب مصري، ولد سنة 1878م، وكان تلميذاً للشيخ محمد عبده، توفي في القاهرة سنة 1943م، من آثاره: جواهر الأدب، وجواهر البلاغة، ومختار الأحاديث النبوية، ... وغيرها ينظر ترجمته في الأعلام، الزركلي، 1، 90، ومعجم المؤلفين، كحالة، 1، 91، وميزان الذهب، أحمد بن إبراهيم، 3.

⁴ _ ينظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (لمع)، 839.

وَاللَّهُ يَفْضِي بِهَبَاتٍ وَأَفْرَه
لِي وَلَهُ فِي دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ¹

الأفاعيل ومقاطعها العروضية.

التغييرات الزحافية والعلية.

الزحافات.

العلل.

أجزاء البيت وألقابه.

مفاتيح البحور.

البحور الشعرية وأحكامها.

مباحث القوافي:

حدّ القافية _ أحرفها _ حركاتها _ القافية من حيث الإطلاق والتقييد _ القافية من حيث ما بين ساكنيها _ عيوب القافية.

ومما انفرد به في منظومته أنه قام بالحديث عن التغيير الذي يحدث للسبب بغض النظر عن موقعه، وبدأ بحذف ثاني السبب الثقيل وتسكينه، رابطاً بين التفعيلتين اللتين تحويان سبباً ثقيلًا، وتعدّ كل واحدة منهما الصورة المقلوبة للثانية، وهما (متفاعلن، ومفاعلتن) دون ذكرهما، حيث قال:

فَالْوَفْصُ لِلْكَامِلِ فِي التَّفْعِيلَةِ كَجَعْلِهَا فِي وَأَفْرِ مَعْقُولَةٍ
هُمَا عَلَى ذَا الْخُفِّ فِي الْأَفْعُولِ سُقُوطُ ثَانِي السَّبَبِ الثَّقِيلِ
إِضْمَارُ جُزءٍ لَمْ يَكُنْ بِالنَّادِرِ فِي كَامِلٍ كَعَصَبِ بَحْرِ الْوَاوِرِ
هُمَا بِلا رَيْثٍ وَلَا تَفْكِيرِ إِسْكَانُ ثَانِي السَّبَبِ الْمَذْكَورِ

ثم انتقل للحديث عن حذف الثاني من السبب الخفيف فذكر الخبن، ثم الطي، ثم الكف، لكنه سها للأسف عن ذكر القبض الذي لم يغفله في الأبحر.

كما أنه كتب مفاتيح للبحور من تصنيفه، ووضعها بين أبيات المنظومة، تلي الأبيات التي تتحدث عن أجزاء البيت وألقابه، وإن كان البحث لا يرى هذه المفاتيح جزءاً من المنظومة التي تسيّر وفق نغم واحد، في حين تنتوع نغمات أبيات المفاتيح بحسب البحر الذي تشير إليه.

ومما لم يوافق فيه أغلب الناظرين للبحور الشعرية ترتيب البحور، حيث إن ما اعتاد عليه العروضيون هو الابتداء بالطويل يليه المديد فالبيسط، ثم الوافر يليه الكامل وهكذا حتى آخر البحور. لكن الأستاذ أبدع ترتيباً جديداً يرتب البحور "بحسب اتحاد مبادئها أو تماثلها أو تداخلها ترتيباً يكاد يكون غير مسبوق؛

¹ _ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 1، 25.

قصد التدرج في إلقاء المعلومات على الطالب المبتدئ أو الشادي تسهيلا لمهمته¹، ومن اتحاد ما تبتدئ به البحور ما كان في المتقارب والطويل، فالمتقارب الذي وزنه يتألف من تفعيلة (فعولن) يلتقي مع الطويل الذي يبتدئ هو الآخر بالتفعيلة ذاتها، وقد جعل الأستاذ المتقارب هو الأول لأنه تألف من تكرار تفعيلة واحدة، في حين تألف الطويل من تفتيلتين هما (فعولن ومفاعيلن).

أما التداخل فهو كالذي بين الكامل والرجز، فالكامل وزنه تاما يتألف من ستة أجزاء، ثلاثة منها في الصدر وثلاثة في العجز، ومن أنواعه أن تكون عروضه _ وهي التفعيلة الأخيرة في الصدر _ صحيحة، وضربه _ وهو التفعيلة الأخيرة في العجز _ صحيحا مثلها، فيكون وزنه على النحو الآتي:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

○//○//○ ○//○//○ ○//○//○ ○//○//○ ○//○//○ ○//○//○

فإذا دخلت زحاف الإضمار وهو تسكين الحرف الثاني من تفتيلته تصير متفاعلن (○//○/○) بسكون التاء، وتنقل إلى مستفعلن المساوية لها في الحركات والسكنات، ودخول هذا الزحاف على الكامل جائز وكثير، فإذا كان الزحاف داخلا على كل تفتيلات أبيات القصيدة على النحو الآتي:

○//○/○/ ○//○/○/ ○//○/○/ ○//○/○/ ○//○/○/ ○//○/○/

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

فهو بهذا سيصير على صورة الرجز الذي يتكون هو الآخر إن كان تاما من ثلاث تفتيلات في الصدر ومثلها في العجز، وهو يتركب من تفعيلة مفردة هي مستفعلن (○//○/○) ومن صورته أنه يأتي صحيح العروض والضرب على الصورة الآتية:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

○//○/○/ ○//○/○/ ○//○/○/ ○//○/○/ ○//○/○/ ○//○/○/

وهي صورة الكامل ذاتها مضمرة التفتيلات، ولا يفرق بينهما سوى مجيء تفعيلة واحدة سالمة من الزحاف، فهذا ما يؤكد أن القصيدة من بحر الكامل؛ لأن ليس من تغييرات العروض أن يتحول ساكن السبب إلى متحرك، فإذا لم تظهر هذه التفعيلة السالمة كانت القصيدة أرجوزة، وهذا يثبت التداخل بين البحرين، فإذا اتضح هذا لمتعلم علم العروض، استطاع من خلال التمرين والدربة أن يتعلم البحرين ويتعرف على تفاصيل كل منهما.

وقد أشار الأستاذ في منظومته إلى التداخل حين حديثه عن الرجز حيث قال:

إِنْ أضمِرَ الكَامِلُ غَالِبًا فَفَقَطْ بِالرَّجَزِ التَّقَى كَثِيرًا وَاخْتَلَطْ

¹ _ المنهج، مصدر سابق، 7.

وَأَلْفَرْقُ رُكْنٌ سَالِمٌ فَإِنْ تَفَرَّ
بِوَأَجِدِ فَكَامِلٌ لَيْسَ رَجَزٌ

كما أشار إلى التماثل بين بعض البحور حين قال:

وَمِثْلُ بَحْرِ الْهَزَجِ الْمُضَارِعُ
فِي كُلِّ مَا فِي حَشْوِ كُلِّ وَقَعُ

حيث إن تفعيله (مفاعيلن) التي يتألف منها حشوهاما جاز أن يدخلها زحاف القبض، وهو حذف الخامس الساكن، وجاز أيضا دخول زحاف الكف، وهو حذف السابع الساكن.

وهذا الذكر للتداخل والتماثل بين البحور في المنظومة يجعل الدارس على بيّنة من أوجه التقارب بين البحور، وهو يعدّ وسيلة تعليمية مبتكرة، تعلمه الاستنباط والتحليل وليس مجرد الحفظ، وتسهّل عليه التمييز بينها.

وقد جاء ترتيب البحور في المنظومة الوافية على النحو الآتي:

المتقارب _ الطويل _ الكامل _ الرجز _ البسيط _ السريع _ المنسرح _ المجث _ الوافر _ الهزج _ المضارع _ الرمل _ الخفيف _ المديد _ المتدارك _ المقتضب.

ولم يكن هذا التغيير لترتيب البحور عن الترتيب الذي وضعه عالم العربية الخليل وفقا للدائرة العروضية هو الأول، فقد سبق بالتغيير الذي أجراه بعض الباحثين الذين رأوا أن يتم الترتيب بناء على الأسهل في التعلم، فبدؤوا بالأبجر الصافية التي تتألف من تفعيله واحدة.¹ ولكن ترتيب المنظومة الوافية مختلف حيث يجمع بين التعليمية والتسهيل بالربط بين البحور بعضها ببعض.

المفردات والأسلوب:

حدّر ابن خلدون في مقدمته من التعقيد في الألفاظ والإلغاز في بعض المتون والمنظومات؛ لأن ذلك فيه إخلال بتحصيل العلوم وملكات المعرفة، فقال: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم ... باختصار في الألفاظ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة في ذلك الفن تقريبا للحفظ بزعمهم ... وهو فساد في التعليم، وفيه إخلال بالتحصيل ... فقصودوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين، فأركبوه صعبا بقطعهم عن تحصيل الملكات"²؛ وذلك لأن بعض المنظومات تجنح إلى التركيب المكثف الذي يحول دون الفهم والإدراك، ويكتنفها غموض كبير يصل إلى حدّ الإلغاز³، مما يجعل النظم ليس في متناول المبتدئين من المتعلمين، وفي بعض الأحيان يصعب حتى على المتوسطين، وهاتين الفئتين من المفروض أن النظم موجه إليهما، يراعي حاجتهما إلى هذه المختصرات التي تغنيهم عن أي مصدر آخر في مرحلة التعليم، وبذلك يفوّت الناظم الغاية التي من أجلها وضع النظم في

¹ _ ينظر الإيقاع في الشعر العربي، مصطفى جمال الدين، 36، 143، وموسيقى الشعر العربي، د. عبد الرضا علي، 36 _ 166.

² _ المقدمة، 5، 280.

³ _ من ذلك القصيدة الخرجية التي تسمى بالرامزة، ينظر القصيدة الخرجية في العروض والقوافي، شرح أبو القاسم السبتي، 7.

الأساس حينما يجعل نظمه لا يفهمه إلا عالم هو في الأصل لا يحتاج إليه إلا لتأدية مهامه التدريسية، أو لاستنكار قاعدة من محفوظه.

والمنظومة الوافية انتبه الأستاذ في نظمها لهذا الأمر فجاءت سهلة الألفاظ، يسيرة التناول لا تحتاج إلى من يفسرها، أو يجلو غموضها، إذ لا غموض فيها، ويُلحظ ذلك من أبياتها، منها على سبيل المثال:

وَالْبَيْتِ إِذْ تَمَّ لَهُ شَطْرَانِ الْأَوَّلُ الصَّدْرُ وَأَمَّا الثَّانِي
فَعَجَزٌ وَكُلُّ رُكْنٍ مَا خَلَا الضَّرْبُ وَالْعُرُوضُ حَشْوًا جُعِلَا

تحدّث البيتان بألفاظ سهلة عن شطري بيت الشعر وتسميتهما بالصدر والعجز، وأن التفعيلات عدا العروض والضرب هي الحشو، وقد قال في بيت آخر:

وَحَدَفُ ضَرْبٍ وَعُرُوضٍ فِي الطَّرْفِ مِنْ أَيِّ بَيْتٍ كَانَ مَجْرُوءًا وَصِفُ

ليتبين أن الضرب والعروض هما اللتان تقعان في طرف كل شطر، وما سبقهما من تفاعيل هي الحشو. وهذا الوضوح هو ديدنه في كل منظومته التي لا يوجد فيها إغاز كما هو في بعض المنظومات الأخرى، وهذه السهولة في الألفاظ ساعدت أن يتّجه أسلوب المنظومة نحو المباشرة والوضوح، ولا يلتفت إلى الأسلوب الأدبي الذي يتميز بالإيحاء والترميز والمجاز مما يفضي إلى تعويم المعاني، والتعمية مما يسبب في تعطيل المنظومة عن وظيفتها الرئيسية وهي توصيل المعرفة بأيسر السبل، وأوضح الأساليب، وقد أشار الأستاذ في ديباجة منظومته إلى ذلك بقوله:

فَإِنْ يَكُنْ نَظْمِي فِي الصِّيَاغَةِ مَحَلَّ قَدْحِ عَالِمِ الْبَلَاغَةِ
وَالنَّفْدِ وَاللُّغَةِ وَالْآدَابِ فَفَحْرُ أَهْلِ الْوَزْنِ وَالْإِعْرَابِ

نعم هو فخر العروضيين والنحاة، ومحل إشادة من الباحثين لما امتاز به من اللغة العلمية الميسرة لمباحث هذا العلم المتمسم بالصعوبة أمام المبتدئين من طلابه.

كما امتازت المنظومة الوافية بحشد مصطلحات علمي العروض والقافية مع تقديم مفاهيم أولية لتلك المصطلحات، من ذلك مثلا:

وَسِنَّةٌ أَحْرَفُهَا يَقُولُ الرِّدْفُ وَالتَّاسِيسُ وَالدَّخِيلُ
وَالْوَصْلُ وَالْخُرُوجُ وَالرَّوِيُّ وَهُوَ الَّذِي مِنْ بَيْنِهَا قَوِيُّ
لَأَنَّهَا يُمَكِّنُ أَنْ تُجَرِّدَا مِنْ كُلِّ حَرْفٍ غَيْرَهُ تَجَرِّدَا

فذكر هنا أحرف القافية الستة، وبين الروي بالذات منها ناعتا إياه بأنه الأقوى الذي لا يمكن الاستغناء عنه في كل القصائد، في حين يستطيع الشاعر أن يستغني عن كل الحروف غيره، وفي موضع آخر من المنظومة قال:

وَلَمْ يَكُ النَّاسِيسُ إِلَّا أَلْفَا قَبْلَ الدَّخِيلِ ذُو الرَّوِيِّ قَدْ قَفَا

فبين أن حرف القافية الذي يسمّى التأسيس هو الألف، يليه حرف الدخيل الذي يفصل بينه وبين الروي، وقال أيضا:

وَفَتَحُ حَرْفِ سَابِقِ التَّاسِيسِ رَسٌّ وَسَمَّ الحَرْفَ بِالرَّسِيسِ

وقال:

مِنَ القَوَافِي مَا تَكُونُ مُطْلَقَةً رَوِيهَا حُرْكَ أَوْمَقِيَّةً

ومعرفة مفاهيم المصطلحات التي ذكرها في المتناول كما هو واضح، ولا يحتاج إلى أي تعليق، وهو مما يسمح للمتعمق بتلقي قاعدة علمية متينة، تقوم على مسرد من المصطلحات التي تمثل المنهج القويم للتعلم في علم العروض.

ومما تميّز به أسلوب الأستاذ في منظومته ولم يُعهد في أكثر المنظومات، هو ظهور شخصيته العلمية الواضحة بإبداء رأيه فيما يمرّ من معلومات، فهو ليس مجرد ناقل، أو واصف لقوانين العلم كما هو الحال في أسلوب أغلب العلماء المحدثين الذين تصدّروا لوضع المنظومات، وإنما يورد من المفردات ما يدل على توضيح رأيه من حيث الاختيار أوالمفاضلة أو ما إلى ذلك، فيقول مثلا: (عندي) التي تدل على تحديد اختياره، كما ورد في بيته:

وَعِنْدِي العَرُوضُ فِي النَّمَامِ وَاجِبَةُ الطِّيِّ عَلَى الدَّوَامِ

ويقوم بالمفاضلة بين الاختيارات فيقول: وهو الأفضل، والصحيح، كما في مثل:

فِي شِعْرِنَا ثَلَاثَةٌ قَصِيرَةٌ لَيْسَ لِكُلِّ قَطُّ إِلَّا صُورَةٌ
الأوَّلُ المُجْتَنَّبُ وَالمُقْتَضَبُ بَعْدَهُمَا المُضَارِعُ المُجْتَنَّبُ
مَعَ الَّذِي قَبْلُ فَأَمَّا الأوَّلُ مِنْهَا فَإِنْ فَاضَلَتْ فَهِيَ الأَفْضَلُ

وقوله:

إِنْ فَاعِلُنْ أَرْبَعٌ مَرَّاتٍ تَجِبُ فِي شَطْرِ بَيْتٍ فَهَوَ مِنْ بَحْرِ الخَبَبِ
وَزَعَمُوا أَنَّ الخَلِيلَ أَعْقَلُهُ أَمَّا الصَّحِيحُ فَالْإِمَامُ أَهْمَلُهُ

بل قد يعبر في أحيان عن رأيه في بحر، ومدى جدوى أن يكون من بحور العروض، منها قوله عن بحر المنسرح:

وَهُوَ ثَقِيلُ الوَزنِ لَا مُنْسَرِحُ يَا لَيْتَهُ مِنْ شِعْرِنَا مُطَّرِحُ

وقال عن بحور أخرى موجهها كلامه للخليل:

وَأِنَّمَا أَنَا الخَلِيلُ لِأَنَّمُ وَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ يُلَامُ العَالَمُ

لَأَنَّهُ لَمْ يَهْمِلِ الْمُقْتَضِبَا وَصِنُوهُ الْمُضَارِعَ الْمُجْتَنِبَا
فَلَيْتَهُ اسْتَجَابَ لِلضَّرُورَةِ فَأَهْمَلَ الثَّلَاثَةَ الْمَهْجُورَةَ

ولم تخل أبياته من الاستشهاد لتوضيح فروق معينة، كما ورد حين تفريقه بين التصريح والتفقيه حيث قال:

إِذَا بَضْرِبَهَا الْعُرُوضُ أَلْحَقَتْ وَلَمْ تَكُنْ عَنْ حُكْمِهَا قَدْ خَرَجَتْ
فِي الْوُزْنِ وَالْإِعْرَابِ وَالرَّوِيِّ فَهُوَ الْمُقْفَى مَطْلَعِ الْكِنْدِيِّ
فِي شَجْوِهِ عَلَى حَبِيبِ الْمَنْزِلِ بَيْنَ الدَّخُولِ بَاكِئًا وَحَوْمَلِ
وَهُوَ الْمُصْرَعُ إِذَا مَا خَرَجَتْ عَنْ حُكْمِهَا وَمَا ذَكَرْتُ شَمِلَتْ
كَمَطَّلِعِ الْكِنْدِيِّ فِي الْعِرْفَانِ وَالْخَلِّ وَالْآيَاتِ وَالْأَرْمَانِ

كما أنه عرض مسألة علمية نحوية تتناولها كتب النحو في باب المعرف بـ(ال)¹، تتلخص في كون (ال) قد تزداد عارضة للضرورة كما في دخولها على (بنات أوبر) وهي علم لنوع من الكمأة، والعلم لا تدخله (ال)؛ كي لا يجتمع معرفين في كلمة واحدة، وقد ورد زيادة (ال) ضرورة في قول الشاعر:

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

والضرورة التي يشير إليها النحاة الذين استشهدوا بهذا البيت هي: "ما وقع في الشعر مما لا يقع في النثر، سواء كان للشاعر عنه مندوحة أم لا"²، وهذا الذي يقع غايته التخلص من كسر ممكن أن يعترض البيت في حال عدم وجوده، وأوضح الأستاذ أن البيت بـ(ال) ومن غيرها لا كسر يعترضه، فوزنه وهو مصاحب (ال) كما يلي:

ولقد جني / تك أكمؤن / وعساقلا ولقد نهى / تك عن بنا / ت لأوبري
○●○●● ○●○●● ○●○●● ○●○●●

من بحر الكامل، مضمر الضرب، في حين وزنه من دون (ال) كما يلي:

ولقد جني / تك أكمؤن / وعساقلا ولقد نهى / تك عن بنا / ت لأوبري
○●○●● ○●○●● ○●○●● ○●○●●

من بحر الكامل، موقوص الضرب، والوقص زحاف يدخل بحر الكامل، لا لبس فيه، وبذلك فإن البيت في حال عدم دخول (ال) ليس فيه كسر، من هنا قال الأستاذ: إن القول بالضرورة هو من توهم النحاة:

فِي الْحَشْوِ جَاَزَ الْوَقْصُ وَالْإِضْمَارُ وَالْحَزْلُ لَيْسَ غَيْرُ وَالْمُخْتَارُ
وَهُمُ النَّحَاةِ فِي بَنَاتِ الْأُوبَرِ وَهُمَا تَقْسَى فِي جَمِيعِ الْأَعْصَرِ

¹ _ ينظر أوضح المسالك، ابن هشام، 1، 82، وشرح ابن عقيل، 1، 171.

² _ الضرائر، الألويسي، 6.

وكان لذلك رأيه أن ما وقع فيه الشاعر هو خطأ وليس ضرورة.¹

الإيقاع:

اختصار مباحث العلوم، وصياغتها نظاماً، هو من الوسائل التعليمية التي تستغل التنغيم الموسيقي ليكون وسيلتها في تسهيل العلم، وتقريبه لأذهان المتعلمين؛ وذلك لما للتنغيم من قدرة على الجذب والتيسير، وللناظم حرية اختيار البحر الذي يصوغ منظومته على وزنه، غير أن بحر الرجز يحتلّ صدارة البحور المستخدمة لهذا الغرض.

وقد نظم الأستاذ المنظومة الوافية على بحر الرجز التام الذي وزنه يقوم على تكرار تفعيلية (مستعلن) ست مرات، بواقع ثلاث تفعيلات في كل شطر، ومن خلال إحصاء تفعيلات المنظومة، وما دخلها من زحافات وعلل يتبين ما يلي:

بلغ عدد تفعيلات المنظومة (1800) بواقع ست تفعيلات في (300) بيت²، وهي كما يلي:

التفعيلية	رمزها	وصفها	عددتها
مستعلن	٥//٥/٥/	صحيحة سالمة	667
مفاعلن	٥//٥//	مخبونة	518
مفتعلن	٥///٥/	مطوية	251
مفعولن	٥/٥/٥/	مقطوعة	202
فعولن	٥/٥//	مقطوعة مخبونة	104
فعلتن	٥////	مخبولة	56
مفتعلان	٥٥///٥/	مذالة مطوية	1
مفاعلان	٥٥//٥//	مذالة مخبونة	1
المجموع			1800

ومن الملاحظ أن الغلبة في الاستخدام كان للتفعيلية التي لم يحدث لها أي تغيير؛ فاحتفظت بساكنها، وهو يعطي انطباعاً بنقص الحركة، مما يوحي بالسكون والهدوء والرزانة في نظم القواعد، وإعمال الفكر في ذلك، واستغلال كل ما يتوفر من سكون وحركة في سبيل الإلمام بتفاصيل علمي العروض والقافية المختلفة، والابتعاد بكل ما أوتي من فطنة عن إحداث كسر في التفعيلات، أو لجوء لضرورة تقسّد سير المنظومة ذلك السير الهادئ المتزن، حتى أنه لأجل ذلك لجأ إلى الزيادة في التفعيلية، وهي زيادة يأبأها

¹ ينظر المنظومة الوافية، مجلة اللسان المبين، هامش 198.

² _ عدد الأبيات كما وردت في مجلة اللسان المبين 316، ولكني أنقصت ستة عشر بيتاً؛ لأنها أبيات مفاتيح البحور الذي جاء كل واحد منها بوزن البحر الذي يمثلها، فلم أحسبها من أبيات المنظومة.

الخليل، المتمثلة في (مفتعلان، ومفاعلان) حيث زيد في آخرها ساكن، وهي علة تسمى التذييل مغفرة في شعر المولدين.¹

ومما يؤكد هذا السير الهادئ استخدام القوافي المقيدة التي جاءت في (157) بيتا، في حين كانت المطلقة في (143) مما يدل على التوقف الحاد الجاد للنظم بما يتناسب مع جدية الطرح لمباحث العلم، لكن الأستاذ لم يغفل عن دور النغم في التأثير على النفس، وفي مساعدة العقل على الاستيعاب والحفظ؛ كي يترنم الدارس بمصطلحات هذا العلم الفاسية؛ فيمنحها الترنم لينا على اللسان، مما يسهل على الفكر استيعابها؛ ولهذا فقد حوت المنظومة على (110) أبيات مصرعة، و(69) بيتا مقفى، في حين لم تتجاوز الأبيات التي لا تحوي هذه الخاصية الموسيقية (121) بيتا؛ مما يجعلها منظومة عذبة الجرس، سهلة التناول، يسيرة الفهم، إضافة إلى هذا وذاك فقد خلت تماما من أي خلل عروضي، ومن أي استخدام لضرورات الشعر. كل هذا الإبداع في النظم والإيقاع يؤكد تمكن الأستاذ علي شونة تمكنا علميا منهجيا من علم العروض مع تجرعه فيه، كما يدل على اقتدار لغوي في صياغة المعرفة، ويمكن لذلك باطمئنان القول: إن المنظومة الوافية هي مفخرة المنظومات العروضية على مستوى العالم العربي.

الخاتمة:

إن كتابة المنظومة العلمية أمر ليس بالهين، فهو يحتاج إلى كفاية لغوية، وموهبة، وسعة ثقافة، وعمق اطلاع، إلى جانب التميز بالفهم الدقيق لتفاصيل العلم المراد نظمه؛ وذلك لأنها ستوضع في متناول طالب العلم لتيسير المعارف وتقريبها له، إذ صياغتها في قالب منظوم يسهل حفظها ومدارستها في قاعات الدرس، فهي وسيلة تعليمية ناجعة تستند في صوغها إلى حاجات المتعلمين، وضرورات العلم، ولهذا وجب الاهتمام بالمنظومات العلمية بخاصة تلك التي تتميز بالسهولة في التناول، والصحة في البناء.

والمنظومة الوافية للأستاذ علي شونة من هذا النوع من المنظومات التي تستحق عن جدارة الاهتمام، والدراسة، فهي إلى جانب ما حققته من غاية تعليمية لم تغفل التجديد والتجاوز المعرفي الذي يرومه كل إنتاج علمي، مع تميز الأستاذ بالشخصية العلمية والمعارفية النقدية، بما يتسم به من تمكن من العلم ودقائقه وتفرعاته، بل والذكاء والفتنة بما بين العلوم اللغوية من ترابط أشار إليها كلما سنحت الفرصة إلى ذلك في منظومته، يضاف إلى هذا ما اتسم به طرحه من يسر في المنهجية، وطريقة العرض والتقديم مع طرافتها المستمدة من شخصية العالم المعلم؛ لذلك يوصي البحث أن تتخذ المنظومة الوافية وكتاب "المنهج في العروض والقافية" مقرا أساسيا لدراسة علمي العروض والقافية في الجامعة.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

¹ _ ينظر الحاشية الكبرى، الدمنهوري، 13.

مراجع البحث:

- _ الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، دار النهضة العربية، مصر، ط.3، 1961م.
- _ الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، لبنان، ط.15، 2002م.
- _ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تحقق: د. هادي حمودي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط.3، 1996م.
- _ الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة، مصطفى جمال الدين، مطبعة النعمان، العراق، 1970م.
- _ الحاشية الكبرى، السيد محمد الدمهوري، المطبعة اليمنية، مصر، 1890م.
- _ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تقديم: د. محمد علي سلطاني، دار العصماء، سوريا، ط.1، 2009م.
- _ الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، السيد محمود شكري الألويسي، شرح: محمد بهجة، المكتبة العربية، العراق، 1922م.
- _ القصيدة الخزرجية في العروض والقوافي للشيخ ضياء الخزرجي، شرح أبو القاسم السبتي، تحقق: د. محمد هيثم، دار البيروني، سوريا، ط.1، 2007م.
- _ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، د.ت.
- _ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، مصر، 1979م.
- _ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط.4، 2004م.
- _ المقدمة، عبدالرحمن بن خلدون، تحقق: عبدالسلام الشداوي، المغرب، ط.1، 2005م.
- _ منظومة الدرّة العروضية للشيخ معروف النودهّي، شرح الشيخ نوري الشيخ بابا، مكتبة التفسير، العراق، ط.1، 2004م.
- _ المنهج في العروض والقافية، أ. علي شونة، دار الوليد، ليبيا، 2020م.
- _ موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، د. عبد الرضا علي، دار الشروق، الأردن، ط.1، 1997م.
- _ ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، السيد أحمد الهاشمي، تحقق: حسني عبدالجليل، مكتبة الآداب، مصر، ط.1، 1997م.

الدوريات:

- _ مجلة القادسية، المجلد الثاني والعشرون، العدد 3، 2019م.
- _ مجلة اللسان المبين، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة طرابلس، العدد الثامن، 2013م.

**Al-Manzūmah al-Wāfiyah on the Major Topics of Prosody and Rhyme by
A. Ali al-Hadi Shunah: Under the Spotlight**

DR. Mabruka Elhashmi Ali Elbuaishi

Department of Arabic Language and Islamic Studies, Faculty of Education, University of Tripoli

Abstract:

The adequate system is a comprehensive systems that cover most aspects in the science of shows that are concerned with studying the weights of Arabic poetry, and its musical structure, and this science includes a set of rules that define the correct poetic weights and its recognized changes, and the science of rhyme that is concerned with the last part of the poetic house that crosses About a specific audio repetition that contributes to giving rhythmic beauty to the hair, and the knowledge of rhyme is known and known laws.

The Wafaa system for the creative professor Ali Shouneh is a Libyan contribution to the teaching of the scientific performances and rhymes, and facilitating this for students of science.

The importance of research: The importance of this research lies in shedding light on the Libyan contribution to the scientific texts through studying the adequate system.

The goal of the research: This research seeks:

_ Definition of a Libyan scientist has a major role in spreading science inside Libya, and it has prominent educational classifications that deserve praise and publishing.

_ The statement about its system (the adequate system) and the clarification of its characteristics, and what was distinguished between its specialization systems.

Research method: This research requires that the descriptive analytical approach be taken as a way to achieve its goal.

Key words: *offers, rhyme, adequate system.*